مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد: فلما كانت الأسرة المسلمة فى حاجة مستمرة إلى التقدم والازدهار، فقد لزم التنبيه المستمر إلى أهم ماينتابها من عقبات ومعوقات، حتى لاتشغلها عن هدفها المنشود، ولما كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قد اشتملت على جانب كبير من أهم الأسس والمبادىء الإسلامية القويمة، التى يحتاجها الآباء والأبناء والمربون، إلا أننا نرى أنه بحاجة إلى بذل مزيد من الجهد لتغطية بعض الجوانب التربوية التى مازالت فى حاجة إلى معالجة، حتى تكتمل هذه المنظومة التربوية، وتخرج فى ثوب قشيب جديد.

وعليه فقد قمنا بتنقيح هذه الطبعة، وتصويب بعض الأخطاء التى وردت فيها، وإن كانت والحمد الله يسيرة فى أضيق الحدود، كما أضفنا إليها بحثا جديدا عن أهمية فترة المراهقة باعتبارها فترة حرجة فى حياة الناشئة، فتيانا وفتيات، تناولنا فيه توضيح معنى هذا المصطلح، وأهم التغيرات السلوكية والفسيولوجية التى تحدث خلال هذه المرحلة، وكذلك أهم الملاحظات التى يجب على الآباء أو المربين والمخالطين الانتباه إليها، والتصرف الدقيق والحذر بمقتضاها، حتى يجتاز شباب الأسرة المسلمة هذه المرحلة، ولاتترك فيه شيئاً من السلبيات التى قد تلازمه طيلة حياته، من نحو الإنطواء وغيره من العقد

النفسيه، والله نسأل أن تكون هذه الطبعة الجديدة، وهى الطبعة الثانية خيرا من سابقتها بما حوته من هذه الإضافة المتواضعة، التى ستتلوها إضافات أخرى موفية ببعض الأغراض التربوية الهامة فى هذا المجال والله من وراء القصد، وهو مولانا ونعم النصير.

أ. د . عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى أرسل الرسلَ مبشرينَ ومنذرين ، وجعلهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيِّبة فى السلوك الفاضل والخلق النبيل ، وجعلَ لهم أزواجًا وذُرِّيَّةً ، قال عَزَّ من قائل : ﴿ ولقد أرسلنا رُسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ (١) .

ثم الصلاة والسلام الأكملان الأَتَمَّان على سيدِ ولد آدم ، سيدنا محمد النبى الأمين ، الذى بيَّن للأمة قولًا وعملًا أن حياة الأسرة ركيزةٌ من ركائز استقرار المجتمع واستمراره ، حيث حرَّض على الزواج وحث عليه ، عن أنس – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ –: « تَزَوَّجُوا الوَدُودَ فإنى مُكاثِرٌبكم الأنبياء يوم القيامة » (٢) . كما حذَّر من العُزُوبة ونفَّر منها ، حتى ولو كانت بدافع التبتل والانقطاع للعبادة ، فعن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله – ﷺ –: « إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » .

وبعـد ...

فإن الأسرة نظام إنسانى أكَّدَ الإسلام ضرورته ، فهى اللبنة الأساسية فى بناء المجتمع ، وقد أوْلتها شريعة الإسلام السمحةُ من الرعاية والاهتمام ما يجعلها

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .

(٢) رواه الطبرانى وأحمد والبيهقى وابن حبان .

(٣) رواه البيهقى .

تتبوأ المكانة اللائقة بها ؛ لتنطلقَ نحو آفاق أرْحب من العزة والكرامة والعمل الصالح المفيد ، فهى آية من آيات الله ، يقول الله – تعالى –: ﴿ ومن آياته أنْ خَلَق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مَوَدَّةً ورحمة إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

ففى ظل توجيهات الإسلام السامية ، ومبادئه الحانية ، تقوم الأسرة على أسس متينة ، قوامُها الاختيارُ السليمُ ، والنظرة الموضوعية الصادقة ، التى لا يجنح بها الخيالُ الحالم ، ولا تستبدُّ بها الطموحات غير المتناهية ، وإنما تعتمد على أرض الواقع الملموس ، حيث لا زيفَ ولا خداعَ ، وإنما صراحة وصدق واقتناع ، فالمنهج الرَّبانى لا يختلف مع الفطرة البشرية ، ولكنه يأتلف معها ويُسَاوِقُهَا ، ويتدرج بها فى مدارج السُّمو البشرى والكمال الإنسانى فى شتى مجالات الحياة وميادينها ، ومسالكها ودروبها ، وبقدر ما يتمسك الناس به من هذه القيم بقدر ما تكون سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

ولقد سعدت الأُسرةُ المسلمةُ فى صدر الإسلام وفى عهد الخلافة الراشدة ؛ لأنها الْتزمت السَّيْرَ على هذا المنهج القويم ، فكان جهد كل من الأبوين منصبًّا على تربية الأبناء ، بتنشئتهم على الدين ، وترغيبهم فى حب الله وتقواه ، بغرس الفضائل فى نفوسهم ، كما كان اختيار كل من الزوجين لرفيق الدرب وشريك الحياة اختيارًا أساسه التدين الصحيح والقرب الصادق من الله ، عملًا بالتوجيه النبوى الكريم : « إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ دينه وخُلُقَه فأَنكِحُوه (زوِّجوه) ، إلَّا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » (٢) .

كما لم يكن أحد من أفراد تلك الأسرة يلوى على شىء سوى طاعة الله ، والأخذ بمنهجه الذى ارتضاه لعباده أسلوبًا للحياة ، قال الله – تعالى –:

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى ، وحسَّنه الترمذى .

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالًا مُبِينًا ﴾ (١) . ومن هنا جاءتهم الدنيا راغمة ، ففى الحديث القدسى : « يادنيا من خدمَنِى فاخْدُميه ، ومن خدمك فاستخْدِميه » (٢) . وهكذا تعمقت هذه المفاهيم وتلك القيم فى نفوس الناس ، وتوارثها خَلَفُ الأمة عن سَلَفِها ، فعاشوا عيشة كريمة ، ونَبَغَ منهم خلقٌ كثير ، كما أصبحوا للناس رَادَةً وقَادَة ، بل وأصبحوا فى جبين الدهر شامة ، وأعز الله بهم دينه ، ومَكَّنَ لأُمة الإسلام على أيديهم ، فتركوا لنا معيناً لا ينضبُ من التراث الحضارى الأصيل .

وحينما ننظر إلى واقع الأسرة المسلمة الآن ، نجدها قد تعرضت لموجات من الفتن والمغْريات العصرية ، التى هبت على ديار المسلمين ، ووفدت إلى مجتمعاتهم باسم المدنية ، فى صورة ألوان من الخلاعة والابتذال والسُّفور ، وكلها عوامل تنذر بالانحلال والذَّوبان ، ولقد أثرت تلك الفتن فى تماسك الأسرة واستقرارها ، فخمدت جذوة الإيمان فى النفوس – إلَّا من رحم الله – وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غَيًّا ﴾ (٣) . ومما يزيد الأمر تعقيدًا ، أن رياح هذا التغيير لا تتوقف على فئة بعينها ، وإنما يمتد الزحف ليشمل مختلف الفئات ، فأهل الريف وأهل الحضر فى هذا الخطب سواء .

وعليه فقد اندفع الغيورون على دينهم وعلى أوطانهم إلى معالجة هذا القصور ، والتصدى لتيارات التغريب ، فشرعوا أسِنَّة أقلامهم بكتابات جيدة تضع الحق فى نصابه ، وتغمد سيف الباطل فى جِرابه ، وهذه الكتابات فى جملتها

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية .

(٣) سورة مريم : ٥٩ .

لا يستغنى بعضها عن بعض ، فما يوجز القول فيه كاتب يطنب فيه آخر ، هذا فضلًا عمَّا تصطبغ به تلك الكتابات من ألوان مردها مَشَارِبُ الكُتَّابِ وتخصصاتهم ، فمن كان متخصصًا فى الفقه ، فإنه يغلب عليه الإغراق فى إيراد الأحكام مقرونة بأدلتها واستنباطاتها ، وقد يجره ذلك إلى الزج بالقارئ – وقد يكون غير متخصص – فى خلافات الفقهاء وآرائهم ، ومن كان متخصصاً فى العلوم الاجتماعية والتربوية تجده يصب أفكاره فى قوالب لغوية واصطلاحات فنية تتمشى مع منهجه وخلفيته العلمية ، وكل ذلك يزيد القضية صعوبة ، فضلًا عمَّا يكتنف اقتناء ذلك كله من جهد ومشقة .

وقد استعنت بالله – تعالى – محاولا الإدلاء بدلوى فى الدِّلاء ، فطوفتُ فى رحاب الأسرة المسلمة ؛ لأرسم لها صورة مثالية من خلال الرؤية الموضوعية العصرية ، التى تستنير وتأتنس بتوجيهات الإسلام الحنيف ، من حيث تشخيص الداء ، ووصف تذكرة الدواء ، كى تستعيد الأسرة المسلمة فى الحاضر عزَّها الخالد ، ومجدها التالد ، ويتبوأ أفرادها مكانتهم المرموقة فى دنيا الناس ، وتلك محاولة صادقة لإعادة صياغة الإنسان المسلم على أساس من هَدْيِ السماء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين * يهدى به الله مَنِ اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذْنِهِ ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ (١) . والاقتداء برسول الله – ﷺ – فهو الأُسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، والنموذج الإنسانى الرفيع لمكارم الأخلاق ، يقول الله – تعالى –: ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِر وذَكَرَ الله كثيراً ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة : ١٥ و ١٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

والتأسى بالأفعال الكريمة ، والأخلاق الحميدة للصحابة الأجلاء ، والعلماء الفضلاء ، فهم النماذج التى صاغها الإسلام على حب الخير والعمل به ونشره وإذاعته ، وفيهم يقول أحدهم ، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود : « من كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله – ﷺ – فإنهم كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلفاً ، وأقومها هديًا ، وأحسنَها حالًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفُوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

ورتبت هذا الموضوع على مقدمة وخمسة فصول ، بيانها كالتالى : المقدمة : ويتضح من خلالها أهمية تناول هذا الموضوع .

الفصل الأول : ويشتمل على عرض دقيق لواقع النظام الأُسرى لدى المسلمين وغيرهم .

الفصل الثانى : ويعنى برسم ملامح المنهج الإسلامى فى بناء الأسرة .

الفصل الثالث : ويتعلق ببيان حقوق كل من الزوجين قِبَلَ الآخر .

الفصل الرابع : ويختص بوضع ملامح حقوق كل من الأبناء والآباء قِبَلَ بعضهم البعض .

الفصل الخامس : ويختص ببيان بعض جوانب المنهج الإسلامى فى تربية الشباب .

وقد توخيت فى عرض هذا الموضوع يُسْر العبارة ، ودقة التركيب ، مع البعد عن الإغراق فى المصطلحات الفنية ، فى إيجاز غير مخل ، تحاشيًا للإطناب المُمِلّ ، أمَلًا فى إخراج هذا الموضوع بحجم يناسب سهولة اقتنائه ، فضلًا عن اصطحابه فى الحِلّ والترحال ، فخير صديق فى الحياة كتاب ، كما حاولت قدر الطاقة ووسع الجهد الإلمامَ بجوانب هذا الموضوع تسهيلاً للمعرفة لدى طلابها .

فإن كنت قد وُفِّقت إلى ما تصْبو إليه النفس ، فذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء ، وإن كانت الأُخرى فحسبى أننى اجتهدت ...

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان الحسنات ، لى ، ولوالدىَّ ، ولأصحاب الحقوق علىَّ ، ولمن عمل على نشره وإذاعته وإبرازه إلى حَيِّزِ الوجود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف أحمد الصعيدى
الأستاذ بكلية الزراعة – جامعة الأزهر
القاهرة
ضاحية مدينة نصر فى رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م

obeikandl.com